9- قصيدة النثر

البدايات: في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي، وفي لبنان ظهر شكل اصطلح عليه قصيدة النثر، ولعل هذا الشكل من أقسى ما تعرضت له القصيدة العربية ذلك أن قصيدة النثر تجربة تدعو إلى الانفلات والانقلاب على القواعد التراثية بإلغائها نظام الوزن بحرا كان أو تفعيلة ونظام القافية أيضا، وتدعو بالمقابل إلى عالم الحرية والتعبير عن طريق النثر، وتكثيف الصور وفقا لما يقتضيه الفكر الشخصي للشاعر لذلك اتسمت بالضبابية والغموض و الإيغال في الإبهام إذ لا يكاد يتفق قارئان على تأويل وفهم لهذا النص.

لذلك لاقت هذه التجربة صدودا ورفضا منذ بداية ظهورها إلى غاية اليوم، ولعل نازك الملائكة من الشعراء و النقاد الذين لم يتقبلوا فكرة قصيدة النثر هذه ووسمتها بالبدعة على الرغم من أنها من الرواد الأوائل الذين طرقوا باب التجديد بالكتابة في الشعر الحر أو شعر التفعيلة، فهي تؤمن بأن الأدب شعر ونثر وأنه لكلّ حدوده وشروطه وملامحه. تقول نازك الملائكة: "شاعت في الجو الأدبي في لبنان بدعة غريبة في السنوات العشر الماضية، فأصبحت بعض المطابع تصدر كتبا تضم بين دفاتها نثرا طبيعيا مثل أي نثر آخر غير أنها تكتب على أغلفتها كلمة شعر، ويفتح القارئ تلك الكتب متوهما أن يجد فيها قصائد مثل القصائد، فيها الوزن والإيقاع والقافية، غير أنه لايجد من ذلك شيئا وأن ما يطالعه من الكِتاب نثر اعتيادي مما يقرأ في كتب النثر وسرعان ما يلاحظ أن الكتاب خلوٌ من أي أثر للشعر".

ثم تناقش نازك الملائكة أيضا أنصار هذه التجربة الجديدة لتحاول تفنيد دعواهم بأنهم يكتبون شعرا أو قصيدة، وبأنهم يلغون الفرق بين الشعر والنثر، وتضرب لذلك مثالا إذ أنه حسب زعمهم يمكن أن نصطلح على نثر مصطفى صادق الرافعي في كتاب "رسائل الأحزان" شعرا مثلما تعد معلقة امرئ القيس شعرا أيضا.

من حيث المعيار النقدي يلح أنصار قصيدة النثر على أن الشعر معانٍ وخيال وعاطفة وصور، وأن الوزن ليس شرطا في الشعر، فهم بذلك قد ركزوا واستندوا إلى ركن المضمون وأهملوا ركن الشكل.

ولعل من العوامل الأساسية في ظهور قصيدة النثر ترجمة القصائد من اللغة و الأدب الغربيين إلى اللغة العربية نثرا، لكن الآداء النثري وطرق التفكير تختلف من أمة إلى أخرى ثم إن الترجمة تفقد النص المترجم الكثير من المصداقية.

وكان من الذين كتبوا في ما يسمى قصيدة النثر لدى الغرب شارل بودلير(CHARLES BAUDELAIRE)، (1821-1867) كاتب وشاعر فرنسي ولد وفي باريس من مؤلفاته (أزهار الشر). والشاعر الفرنسي أرثر رامبو(ARTHUR RIMBAUD)، (1854-1881).

وإنه من جماعة الشعراء الحداثيين العرب الذين تحمسوا لهذه التجربة وأسسوا لها **(مجلة شعر) اللبنانية عام 1957**، واللتي كانت تتعهد قصيدة النثر وتشجعها عن طريق نشر ما يكتبون، أو كذلك نشر القصائد المترجمة، من هؤلاء

(يوسف الخال (1916-1987) شاعر حداثي ولد في عمار الحصن غرب سوريا مجاز في الآداب من جامعة بيروت، أقام بنيويورك، من مؤسسي مجلة شعر اللبنانية، من مؤلفاته قصائد في الأربعين، دفاتر الأيام)، و(**أدونيس** "**علي أحمد سعيد**"، ولد في اللاذقية بسوريا عام 1930، درس الفلسفة بجامعة دمشق والأدب في بيروت، من مؤلفاته: قالت الأرض، أغاني مهيار الدمشقي، مقدمة للشعر العربي، زمن الشعر)، و(**أنسي الحاج**، ولد في جزين بلبنان عام 1937 من مؤلفاته: لن، ماضي الأيام الآتية، خواتم، الوليمة" والشاعر السوري (**محمد أحمد عيسى الماغوط**، ولد في 1934 وتوفي في 2006).

وإليك أمثلة مما يورده حامد حفني داود **لتوفيق صايغ** (1923-1971 شاعر وصحفي وناقد أدبي فلسطيني سوري الأصل درّس بإنجلترا وأميركا) بعنوان القصيدة (ك):

أريدني عدما في قبعة

أريدك عينين منومتين وأصابع رشيقة

تعبث بالقبعة وبالرائين وبي

وتبعثني أرنبا ينط

ومن شعر أدونيس قصيدة بعنوان (أغنية إلى الوقت):

إنه الوقت، وقت الحصار، الذي لا يرى

غير هذا الدم المتنقل بين الشوارع،

ملء البيوت الذي لا يرى

غير هذا التفجر في جسد لا يُرى،

وأقول لوجه الجنوب: توجهتُ

أنّى توجهتَ أتبعْك، تمضي

وأمضي إلى مثلما

وتقود خطاي إلى كيفما

وتوجّه ناري إلى ما يزلزل، يومئ لي...ربما.

10- الفنون النثرية المعاصرة (القصـــة)

تمهيد: القصة نوع نثري سردي يميل إلى الإيجاز، والاعتماد على خيط أو عنصر مركزي واحد، تميز بقصرها إذ تقرأ في جلسة واحدة، وبحبكتها التي تبدأ غالباً وسط الأحداث.

والعمل القصصي لا يخلو من عناصر مهمة أو مكونات يبنى عليها كالحوادث والشخصيات والبيئة والفكرة والأسلوب أو الإخراج.

ولقد بدأ الاهتمام بالكتابة القصصية في العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كما نضجت ونشطت مع تطور الصحافة وظهور أعداد متزايدة من المجلات والصحف، إضافة إلى تعدد التفاصيل والأحوال التي استلزمت التعبير القصصي الموجز.

القصة في الأدب الحديث:

في العصر الحديث بدأت القصة متأثرة بأسلوب المقامات من خلال كتاب حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي، وكتاب ليالي سطيح لحافظ إبراهيم ، إلا أنها حاولت أن تعالج قضايا تمس المجتمع، وتنتقد مظاهر التخلف.

كما لجأ بعض الكتاب إلى الترجمة والتعريب، مثلما فعل رفاعة الطهطاوي حين ترجم (مغامرات تلماك) للأديب الفرنسي (فينلون)، ومصطفى لطفي المنفلوطي الذي ترجم (بول وفرجيني للأديب الفرنسي (برناردين سان بيار) إلى (الفضيلة)، و(مجدولين للأديب الفرنسي ألفونس كار) إلى (تحت ظلال الزيزفون)، ومما يميز أعمال المنفلوطي أنها تدور حول القضايا الاجتماعية والمشكلات العائلية، وتركز على تصوير المشاعر والانفعالات، كما يبرز تعاطف الكاتب مع شخصياته، وهو يجمع في كل ذلك بين تأثره بالتراث العربي والإنتاج الغربي. ثم خطت القصة الحديثة خطواتها نحو الإبداع والابتعاد عن التقليد على يد توفيق الحكيم ومحمود تيمور وأحمد رضا حوحو في الجزائر، فقد صور توفيق الحكيم من خلال (عودة الروح) التي ظهرت عام 1933 تماسك الشعب المصري وتلاحمه ضد ظلم المستعمر حين يجد زعيما يقوده ويوجهه، فهي قصة واقعية روحها مصري، أسلوبها سهل سلس بعيد عن التعقيد.

وفي قصة (الشيخ جمعة) لمحمود تيمور يصور الكاتب حياة المواطنين في الريف المصري من خلال شخصية الشيخ جمعة وحكاياته التي كثيرا ما تمتزج بالخرافة، وشخصيات محمود تيمور القصصية منتقاة من الطبقة الشعبية، يهتم برسم الشخصية وتحليلها إلى جانب السرد .

11- الفن القصصي الأعلام والاتجاهات

تمهيد: ازدهر الفن القصصي في النصف الثاني من القرن العشرين ازدهارا واضحا، ووجد لنفسه عددا كبيرا من الكتّاب في مختلف الأقطار العربية، وإذ لا يمكن الحصر فيمكن التمثيل على هذا الثراء بالأسماء العربية التالية:

من الأعلام:

في مصر: يوسف إدريس، أبو المعاطي أبو النجا، يحيى الطاهر عبد الله، محمد مستجاب، محمد عبد الحليم عبد الله.

في تونس: علي الدوعاجي، محمد العروسي المطوي،

في المغرب: محمد زفزاف، محمد شكري.

في الجزائر: زهور ونيسي، عبد الحميد بن هدوقة ، أبو العيد دودو، الطاهر وطار.

في ليبيا: خليفة التليسي، في لبنان: يوسف حبشي الأشقر.

في سوريا: زكريا تامر.

في العراق: عبد الملك نوري محمد خضير، عبد الرحمن مجيد الربيعي.

– ويحسن أن نسلط شيئا من الضوء على بعض من كبار القصاصين الذين كانت لهم خصوصية في كتابة القصة :

يوسف إدريس (1927– 1991): **القصة الواقعية:**

يعد الأديب الروائي القاص الطبيب يوسف إدريس العلامة الكبرى في مسار القصة القصيرة الواقعية، وكان له الأثر الكبير في تجارب عربية كثيرة اتجهت إلى المنحى الواقعي، الذي ظهرت بوادره عند محمود طاهر لاشين(مصر)، ونجاتي صدقي (فلسطين)، وعلي الدوعاجي (تونس).

يوسف إدريس من طبقة الكتاب الشباب المصريين بعد الحرب العالمية الثانية الذين كانوا يتطلعون إلى بناء مستقبل جديد للمجتمع المصري ومن أبرز أعماله القصصية التي ظهرت تباعا:

(أرخص ليالي) عام 1953، عالج فيها معاناة الفلاح المصري. ففي قصة (الغريب) يعرض نماذج من الريف ووحشته ويصور حياة الليل واللصوص.

وفي (حادثة شرف) يصف الإحساس العظيم بالشرف والعرض.

وفي (شيخوخة بدون جنون) يصور حياة طبيب صحة في الأرياف.

وبعض قصصه يطرق الموضوعات الوطنية والقومية ففي (مجموعة البطل) عام 1957 تحدث عن الجلاء في قصة (الوشم الأخير)، وتأميم القنال في قصة (صح)، و(قصة حب) تصور الكفاح ضد الإنجليز.

(أليس كذلك)، (قاع المدينة) عام 1958.

(آخر الدنيا) عام 1961 صور الطفولة في ظل غياب الوالدين. في (اليد الكبيرة) تحدث عن مأساة الموت وفراق الوالد.

- المجموعة القصصية (لغة الآي آي):

وفيها(حالة تلبس)، (الزوار)، (معاهدة سيناء)، (قصة ذي الصوت النحيل) وهذه القصص مؤرخة في ديسمبر 1962. (الورقة بعشرة) مؤرخة في جانفي 1957، (فوق حدود العقل) مؤرخة في 1961، (لغة الآي آي) التي سميت بها المجموعة.

كان يوسف إدريس يمزج في كتاباته القصصية بين اللغة الفصحى والعامية أو اللهجة المصرية.

تعتمد قصص يوسف إدريس بصورة واضحة على ما يجري في الواقع المصري بصورة مؤثرة، ولذلك فقصصه سندات أساسية لفهم الشخصية المصرية.

ملخص قصة (لغة الآي آي):

لغة الآي آي قصة من المجموعة القصصية المعنونة بهذا العنوان من باب تسمية الكل بعنوان الجزء، تمتد عبر عشرين صفحة، والآي آي هي لغة المريض هي الأصوات التي يصدرها المريض من شدة الألم، والمريض هو (فهمي) من قرية (زينين) من الصعيد المصري، أصيب بمرض سرطان المثانة، وكان لا بد أن يأخذه أهل القرية إلى المدينة من أجل العلاج وهنالك يستقبلهم صديق طفولته ورفيقه أيام الدراسة بالقرية، ويصر على أن يأخذه إلى بيته ليقضي ليلته، مع علمه أن زوجته الأرستقراطية ترفض مثل هذا التصرف، وفي الليل يطلق فهمي العنان لآلامه فتمتد صرخات فهمي المريض آي آي، ومعها يعلو صوت اللوم والتوبيخ من زوجة الحديدي.

زكريا تامر (من مواليد دمشق 1931):

إذا كان يوسف إدريس يمثل الاتجاه الواقعي، فإن الأديب القاص زكريا تامر أطل منذ بداية الستينات ممثلا لمدرسة قصصية مميزة، يطلق عليها التعبيرية أو الذاتية أو الشعرية، ومع أنها ذات منطلق واقعي إذ ليس هناك قصة غير واقعية، فهي تبتعد عن التناول المباشر للواقع بل يستعمل أساليب إيحائية وتعبيرية متعددة. ومن أعمال زكريا تامر:

(صهيل الجواد الأبيض) قصص ذاتية، (ربيع في الرماد) تتحدث عن خفايا دمشق، (الرعد) تتحدث عن المظلومين)، (دمشق الحرائق) تتحدث عن دمشق وأحزانها ماضيها وحاضرها، (النمور في اليوم العاشر) ذات اتجاه سياسي تحكي هموم المواطن العربي، (نداء نوح)، (سنضحك)، (الحصرم) ومعناه العنب قبل النضج..

ويمكن إيجاز أبرز **خصائص القصة التعبيرية** كما عمقها زكريا تامر فيما يلي:

– السمة الشعرية في الرؤية واللغة، حيث نقل لغة الشعر الحديث إلى القصة فأضاف لها لمسات فنية مميزة، ولذلك تفيض قصته بالصور والأخيلة والإيقاع.

– الانطلاق من الواقعي إلى الغرائبي، ومن المعقول إلى اللامعقول.

– توظيف الرموز الإنسانية والحيوانية والطبيعية، واستخدام رموز تراثية واستحضار شخصيات من الماضي ووضعها في إطار الحاضر وتوقّع سلوكاتها الجديدة.

– تقنيات الأحلام والكوابيس وكل ما ينتج عن عالم اللاوعي والعالم الباطن في الكائن الإنساني.

– تحطيم التسلسل المنطقي للأحداث، والسرد المشوش، وتحضر تقنيات الاسترجاع والاستباق عبر حضور حاسة التذكّر وحاسة التوقع، أي استذكار أحداث ماضية، ورسم سيناريوهات مفترضة لوقائع مستقبلية.

– ظاهرة السخرية والتهكم والإضحاك.

القصة الجزائرية:

معظم القصص الجزائري كان اتجاهه يدور حول الثورة والهجرة وآثار الاستعمار والتقاليد والعادات وعلاقة الرجل بالمرأة وقضية فلسطين، ومن نماذجه (بحيرة الزيتون) لأبي العيد دودو، و(الرصيف النائم، وعلى الشاطئ الآخر) لزهور ونيسي، و(دقت الساعة) للبهي فضلاء، و(طعنات) للطاهر وطار.

فقصص بحيرة الزيتون لأبي العيد دودو (1934– 2004 أديب وناقد، أستاذ جامعي) مثلا تصور حرب التحرير بأبطالها وأحداثها وشخصياتها، والقصة التي عنونت بها المجموعة

تصور شيخا كرس حياته لمواساة المواطنين إبان الثورة وشخصية الأم التي تفرح بانضمام ابنها إلى الثوار.